آراء تربوية للإمام علي كرم الله وجهه

د. مسلم عبد القادر أحمد *

الملخص

أوضح هذا البحث اهتمام الخليفة الراشد الإمام علي كرم الله وجهه بالتربية والتعليم، وهذا الأمر يمكن علماء التربية من الوقوف عليه والتأكد منه خلال الاطلاع على خطبه وحكمه ومكاتباته إلى ولاته على الأمصار في نهج البلاغة والمصادر التاريخية الأخرى التي اهتمت بالتوثيق لحياته كرم الله وجهه. والملاحظ في كل ذلك ايراده واشارته لكثير من الآراء التربوية التي أثبت دورة الحياة صلاحيتها بل تبنيها الكامل من جانب التربية العلمانية.

كما بين هذا البحث الجوانب المختلفة في شخصية المسلم والتي يجب الاهتمام والاعتناء بها عند القيام بعملية التربية والتعليم، مما يدل على فهم الإمام علي كرم الله وجهه للطبيعة الإنسانية بصورتها الصحيحة، حيث لا تفرقة ولا شطط ولا إفراط أو تفريط عند التعامل معها ، فالتربية الروحية تتم بكل ما يوثق العلاقة بين الخالق تعالى والإنسان المخلوق في كل زمان وفي كل مكان، والتربية الجسمية تقود إلى توجيه الطاقة الجسمية للإنسان فيما ينفعه ويعينه على أداء واجباته العملية وفرائضه الدينية، والتربية العقلية تتم بتوجيه العقل إلى التفكير والتدبر في خلق الله تعالى وصولاً إلى تسخير وتعميره فيما يفيد الإنسان، والتربية الاجتماعية تنمي علاقات الإنـــــــسان

---

* أستاذ مساعد – كلية التربية / الحصاحيصا – جامعة الجزيرة

وتواصله مع الأخرين في مجتمعه والإنسانية جمعاء، والتربية الأخلاقية توجه الإنسان الخلق القويم واكتساب الفضائل وأخيرا تقود التربية السياسية إلى وعي الحكام والمحكومين بواجباتهم تجاه دينهم ودولتهم.

مقدمة :-

يهدف هذا البحث بصورة أساسية إلي تأصيل بعض الجوانب المتصلة بتربية الشخصية في عهد الدولة الإسلامية الأول، إذ المتبادر إلي أذهان كثير من الناس اهتمام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم بالفتوحات الإسلامية وتأمين الدعوة عن طريق القوة العسكرية وحدها دون إعطاء أي اعتبار للتربية والتعليم لكن المؤكد أنه لا بد من إعداد تربوي للشخصية يقوم علي دعائم قوية وبذل جهد كبير لإعداد ذلك الإنسان الذي شارك في تلك الفتوحات ويضحي بنفسه وأهله وماله من أجل أهداف سامية.

كما أن هذا المقال يحاول الكشف عن بعض الممارسات التربوية التي تتصل بكثير من الأفكار التربوية التي اهتمت بها التربية العلمانية فيما بعد مما يؤكد أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية التي يروج بعض منسوبيها أن لا سبق علسي للمسلمين علي غيرهم من أمم وإنما دورهم فقط التلقي عن الاخرين.

أيضاً يبرز هذا البحث بالدرجة الأولى دور الخليفة الراشد الإمام علي- كرم الله وجهه- في التربية والتعليم، فالمتأمل في سيرته في المصادر والمراجع يظن أن كل همه كان منصباً في إدارة المعارك العسكرية ومدافعة

الخصوم دون إعطاء أي اهتمام للتربية والتعليم ناسين أو متناسين أن الرسول صلي الله عليه وسلم هو مربي الامام علي.

وأخيراً أرجو أن يكون هذا البحث بداية في تأصيل التربية والتعليم بالرجوع الى الممارسات التربوية الإسلامية في عهدها الأول.

أخذت تربية الشخصية المسلمة حيزاً كبيراً في الفكر التربوي عند الامام على بن أبي طالب – كرم الله وجهه على اعتبار أن الإنسان هو خليفة الله تعالي في أرضه، والقيام بهذه المهمة علي وجهها المطلوب يتطلب شخصية متكاملة متوازنة في كافة الجوانب المكونة لها.

ولا بد هنا من ملاحظة أن تربية الشخصية المسلمة عند الامام على – كرم الله وجهه– عكست وجهة نظر الاسلام في تصورها لمكانة الانسان في هذا الكون، وعلاقاته بمكوناته المختلفة، وتربيته تربية صحيحة، بواسطة أساليب تربوية تقود الى تحقيق التكامل والتوازن في الشخصية المسلمة.

فالإسلام ينظر الى الانسان على أنه جوانب روحية وعقلية وجسمية تكون مجتمعة الذات الإنسانية، فلم يعل الإسلام من شأن الروح علي حساب الجسد، ولم يعل سن شأن الجسد واشباع شهواته، علي حساب الروح، ولم يهتم بالعقل، وأهمل الجوانب الأخرى بل وازن بين طاقات الإنسان كلها دون تحيز لأحد الجوانب على الأخرى، وهذا واضح في مخاطبة الله تعالى للإنسان ككل متكامل قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ا لإنسان [1]

ويمكن بيان الجوانب التي اهتم بها الامام علي كرم الله وجهه – في تربية الشخصية الاسلامية في الآتي:

أولاً: التربية الروحية:

الروح هي وسبلة لاتصال الإنسان بالله تعالى، ولا يعرف حقيقة الروح إلا الله تعالى. قال تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء [85]. ويستدل على وجود الروح عند الإنسان بحياة الجسد.

وطريقة الاسلام في تربية الروح الإنسانية تتمثل في عقد صلة دائمة بين الله تعالي والإنسان في كل زمان ومكان، وتتحقق التربية الروحية " بتوجيه الإنسان إلى الفطرة السليمة وعبادة الله ومراقبته وتربية روح المسئولية والتقوي والخوف من الله" (محجوب 984 إم :105)

وقد أكد الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه علي تربية روح الإنسان من خلال توثيق صلتها بالله تعالي وعن طريق لزوم التقوى في كل أمر، إذ لا يكاد يخلو قول من أقوال الإمام علي، من التطرق إلى تقوي الله سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، ومن ذلك وصيته للناس بالتقوى، لأنها السبيل إلى النجاة، من عذاب الله تعالي يوم القيامة، قال الإمام على: " أوصيكم عباد الله، بتقوى الله فإنها الزمام والقوام، فتمسكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها تؤول بكم إلى أكنان

الدعة، وأوطان السعة، ومعاقل الحذر، ومنازل العز، في يوم تشخص فيه الأبصار وتظلم له الأقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ في الصور، فتزهق كل مهجة وتبكم كل لهجة (الرضى: 1987م: ج 1: 171).

ومما يوثق صلة الإنسان بربه، في نظر الإمام علي أداء العبادات المفروضة على وجهها الصحيح:

فالصلاة تمحو الخطايا والذنوب، ولذلك دعا الإمام علي كرم الله وجهه الى إعطائها حقها من العناية وأدائها في وقتها المعلوم والإكثار منها، قال الإمام علي: تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا، ما سلككم في سقر؟ قالوا لم نك من المصلين. وإنها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الربق، وشبهها رسول اللهﷺ بالحمّة، تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة، خمس مرات، فما عسى أن يبقي عليه من الدرن؛ (الرضـــي: 1987م:ج10:202 :) قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت [45]، ويلاحظ هنا تأكيد الإمام علي أداء الصلاة في جماعة، إذ أتي كلامه بصيغة الجمع.

والزكاة تزكية للنفس، وتطهير لها من البخل وإخراجها عن طيب نفس، في نظر الإمام علي بن أبي طالب، كفارة لذنوب صاحبها وحاجزاً ووقاية له من النار، ومن أخرجها وهو كاره لذلك، فليس له من الأجر شيء، قال الإمام علي: "ثم الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لأهل الإسلام، فمن أعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها، فهو جاهل بالسنة، مغبون الأجر، ضل العمل وطويل الندم" (الرضي: 1987 م : ج10: 20) ويشير الإمام

علي في هذا القول إلي ما ذكره القرآن الكريم من أن الإنسان مجبول علي حب المال قال تعالي: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ الفجر [20]

وفي أداء المسلم للحج تواضع لله، وخضوع له، قال الإمام علي حاثاً على حج البيت الحرام: " عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنام ويألهون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته" (الرضي: 1987 م : ج1: 23).

وبيّن الإمام علي– كرم الله وجهه – أن الصوم حاجز من عقاب الله تعالي وغفران الذنوب وطرد للفقر، قال الإمام علي في فضل الصوم والحج: " وصوم رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره، فإنهم ينفيان الفقر ويدحضان الذنب" (الرضي: 1987 م : 1: 22).

ففي الحج والصوم تعويد للنفس علي تحمل المشقة، والإخلاص في العمل وكل ذلك مدعاة لتقوية روح الإنسان وتحقيقا لمعيتها بالله تعالي.

ثانياً؛ التربية الجسمية:

الجسم هو الجزء المادي في الإنسان، والذي بواسطته يتمكن من القيام بالواجبات والتكاليف الشرعية كالعبادات والجهاد وكسب العيش وغيرها.

وقد اشتهر الإمام علي كرم الله وجهه بالقوة الجسمية الخارقة، والتي ظهرت أثارها في مختلف الغزوات والمعارك التي خاضها، ومن غير شك أن القتال يحتاج إلي جسم قوي بداية ويمكن من استخدام أداوت الحرب المختلفة وبذل الجهد، إضافة الى مقومات أخرى.

ومن غير شك أن هذا الجسم القوي الذي تمتع به الإمام علي قد جاء نتيجة

تمرينات رياضية وتدريبات مختلفة. فقد كان الإمام علي فارسا شجاعا يتقن ركوب الخيل، وكان يتولى بنفسه تنظيم حلقات السباق ويضع لها القواعد المنظمة. قال الإمام لسراقة: " يا سراقة إذا أتيت الميطان* ، فصف الخيل ثم نادي: هل من مصلح للجام ؟ وحامل لغلام ؟ أو طارح لحبل ؟ فإذا لم يجبك أحد فكبر ثلاثاً، ثم خلها عند الثالثة، يسعد الله بسبقه من شاء من خلقه" (الجوزية: 1994م : 98).

وكان الإمام علي كرم الله وجهه يقعد عند نهاية السباق، ويخط خطاً، ويقيم رجلين متقابلين عند طرف الخط، وتمر الخيل بين الرجلين ويقول– أي علي: (إذا خرج أحد الفرسين على صاحبه بطرف أذنيه، أو أذن، أو عزار فاجعلوا السبقة له، فإذا شككتما نصفين، فلا جنب ولا شعار في الإسلام) (الجوزية: 1994م : 98).

وواضح من هذا حث الإمام علي الناس على تربية أجسامهم على القوة بركوب الخيل.

ولما كان الإمام علي كرم الله وجهه– مشاركا في الغزوات والمعارك المختلفة، بل من قوادها، فإن هذا الوضع يتطلب منه تدريب المقاتلين فيها على. استخدام السلاح بأنواعه المختلفة، ووضع الخطط التي تمكن من تحقيق النصر، وهذا يعتمد بصورة أساسية على تمتع المقاتلين بأبدان قوية تتحمل تبعات الحرب، من تعب وبذل للجهد وغيرها.

---

*الميدان

وقد وجه الإمام علي إلي استخدام الأساليب الصحيحة المساعدة في تمتع الجسم بصحة جيدة، قال الإمام علي: "ثلاث يزدن في الحفظ ، ويذهبن البلغم: السواك والصيام، وقراءة القرآن" (الغزالي:1984 م: ج1: 321)، فهذه إرشادات أكد عليها الطب الحديث فقد بيّن الأطباء فائدة السواك بالنسبة للجسم.

ويذهب الإمام علي إلي تأكيد حقيقة طبية مهمة وهي اقتران الصحة الجسمية بالصحة النفسية، إذ لا غني لإحداهما عن الأخرى، قال الإمام علي: " صحة الجسم قلة الحسد" (الرضي: 1987ج4: 561) فالحسد يؤدي الى كثرة انشغال النفس بالغير مما يزيد في توتر الإنسان وقلقه الدائم.

كما أشار الإمام علي إلى أن صحة الجسم من صحة المعدة. قال صلي الله عليه وسلم: (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) (الحجاج1990 م: ج 19 :135) قال الإمام علي: (المعدة حوض البدن، والعروق واردة عليها، وصادرة عنها، فإذا صحت صدرت العروق عنها بالصحة، وإذا سقمت صدرت العروق عنها بالسقم)

وأنشد قائلاً:

فكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة، أكلات دهر(العاملي1985م: 117)

ومما سبق تبين عناية الإمام علي كرم الله وجهه بالتربية الجسمية سواء على مستوى الممارسة العملية التطبيقية أو على مستوى حثه لأصحابه بإعطاء أجسامهم حقها من الرعاية.

ثالثاً: التربية العقلية:

تمثل التربية العقلية أحد أهم مجالات تربية الشخصية، وهذه الأهمية أتت من تفرد الإنسان بالعقل الذي هو من أجل نعم الله تعالي عليه، وبه استحقاق التكريم الإلهي، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ الإسراء [70]، فالعقل " قوة مدركة خلقها الله فيه (الإنسان) ليكون مسئولاً عن أعماله علي أساس قدرته للإدراك، والتمييز بين لحق والباطل، والخير والشر، والقبح والضلال والانحراف" (يالجن 1986 م:87).

ويظهر اهتمام الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالتربية العقلية، بما أثر عنه من أقوال تبين أهمية العقل وأنه مناط التكليف، وما عرف به الإمام علي من عمق في التفكير والنظرة الفاحصة في الأمور، والرأي الثاقب حيث لا غنى لأي انسان من عقل يحكم به على عباداته ومعاملاته في الحياة، قال الإمام علي: (إن أغني الغني العقل) (الرضى: 1987 ج18 157). وكذلك: (لا غني كالعقل)، والعقل في نظر الإمام علي سبيل للتفريق بين الخير والشر قال الإمام علي: "كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك".(الرضي: 1987 ج 8 : 185).

وقد وجه الإمام علي – كرم الله وجهه إلي استخدام وسائل عدة لتربية العقل، وأول هذه الوسائل تأمل الإنسان في نفسه. قال تعالي: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ ﴾ الطارق [5–7]، قال الإمام علي حاثاً على تأمل الإنسان في المراحل التي يمر بها في حياته: " أم

هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار، نطفة دهاقا ، وعلقة محاقا، وجنيناً راضعاً ووليداً يافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً، ولساناً لافظاً، وبصراً لاحظاً، ليفهم معبراً ويقصر مزدجراً " (الرضي: 1987ج 26 : 269).

كما وجه الإمام علي – كرم الله وجهه الإنسان إلى التفكر في خلق الله تعالي، ليصل إلى الإيمان، فالإنسان مأمور بالنظر والتفكر في خلق الله تعالى، قال تعالي: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾ سورة ق [6، 7]. وقد طبق الإمام علي هذا التفكر والتأمل في مخلوقات الله تعالى، فتحقق له وصفها، صفاً دقيقاً، لفت من خلاله نظر الناس للتأكد من عظمة الخالق وبديع صنعه. ومن ذلك وصفه للطاووس: " ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل ونضّد ألوانه في أحسن تنضيد" (الرضي: دت ج 2: 323).

وكان الإمام علي كرم الله وجهه يوجه تلاميذه بالنظر في السماء بالليل ومن ذلك قوله لنوف البكالي: " يا نوف أراقد أنت، أم رامق"؟ أي ناظر بتمعن وتفحص أم بنظرة عابرة خالية من الغرض.

ومما يربي عقل الإنسان ويوقظه التفكر في أحوال الأمم السابقة التي سلكت واحدا من طريقين:

أمم اتبعت طريق الحق فنجت وفازت.

وأمم اتبعت طريق الباطل فهلكت وخسرت.

وكان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يحث الناس على التفكر فيما حاق بالأمم السابقة نتيجة لإعراضها عن «أوامر الله تعالى حتى لا يكونوا أمثالهم فيحق عليهم العذاب، قال الإمام علي: " واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، وذميم الأعمال فتذكروا في الخير والشر أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم" (الرضى: 1987ج 13 : 68).

ويوجه الإمام على أنظار الناس إلى أن الدنيا دار بلاء وامتحان، وخير للناس أن يصبروا على ما يلاقيهم فيها من الضيق والتعب والمشقة، لأن عاقبة ذلك كله العز والأمن والفوز، قال الإمام علي: "تدبروا حال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص، والبلاء، ألم يكونوا أثقل الخلائق أعداء، وأجهد العباد بلاء، وأضيق أهل الدنيا حالاً، اتخذتهم الفراعنة عبيداً، فساموهم سوء العذاب، وجرعوهم المرار، فلم تبرح الحالة بهم في ذلك الهلكة، وقهر الغلبة لا يجدوا حالة في امتناع، ولا سبيلاً إلى دفاع، حتى إذ رأي الله حد الصبر منهم علي الأذى فـــي محبته، والاحتمال للمكروه من خوفه، جعل لهم من مضايق البلاء مخرجا، فأبدلهم العز مكان الذل، والأمن مكان الخوف، فصاروا ملوكا حكاما، وأئمة أعلاماً(الرضي: 1987ج11: 169).

كما وجه الإمام علي–كرم الله وجهه في تربية العقل إلى طلب العلم واستخدام كل الملكات العقلية من حفظ وفهم وتركيب وتحليل، قال الإمام علي: "أعقلوا الخبر إذا سمعتوه عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل" (الرضي: 1987ج18 :254).

ويؤكد الإمام علي كرم الله وجهه أهمية الفهم والتدبر للعلم، لأن العلم بغير هما ينقلب إلي الجهل، قال الإمام علي: "رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لم ينفعه" (الرضي: 1987ج 8 :269).

كما أشار الإمام علي إلي تربية العقل عن طريق الاستفادة من تجارب الآخرين. قال الإمام علي: "العقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك" (الرضي: د.ت ج4 : 489).

هذا وقد تمتع الإمام علي– كرم الله وجهه بإمكانيات نقدية وتحليلية هائلة ويظهر هذا بوضوح في نظرته الثاقبة في الأمور والقضايا، ومن ذلك تفريقه بين ما كان سائداً قبل بعثه الرسول صلي الله عليه وسلم من التفرق والتشتت والضلال وتعدد الآلهة وما حدث بعد ذلك من التوحد والهدي للناس، قال الإمام علي: "ومضت الدهور وسلفت الآباء وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمد رسول الله صلي الله عليه وأله وسلم لإنجاز عدته وتمام نبوته مأخوذا علي النبيين ميثاقه، مشهوراً سماته كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة وأهواء منتشرة وطوائف مشتتة بين مشبه لله في خلقه أو ملحد في اسمه أو مشيراً إلى غيره فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة (الرضي: د.ت ج2 : 321).

والنقد والتحليل عند الإمام علي كرم الله وجهه يمر بمراحل عديدة أولها الإحساس بالمشكلة ثم تحديدها وأخيراً بيان الحل المقترح، وهذا واضح في وصيته لأبنه الحسن حين رأى حاجته إلى التوجيه والإرشاد فأوصاه بوصية جامعة.

رابعاً: التربية الاجتماعية:-

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الناس مختلفين في أشكالهم وألوانهم واجناسهم ووظائفهم التي يقومون بها في الحياة، وذلك ليتم لهم تبادل المنافع وصولاً الى عمارة الكون، فلو أن الناس كلهم تساووا في كل شيء لتعطلت الحياة وانعدم التنافس الذي يفضي إلي رقي وتقدم المجتمع ، قال تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات [13]

والإنسان بطبعة يميل إلي الاجتماع بالآخرين من بني جنسه، ومن خلال هذا الاجتماع والتواصل تنشأ العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في مستوياتها المختلفة، كعلاقات القربى وعلاقات الزوجية، وعلاقات الصداقة، وتقوم كل هذه العلاقات في مستوياتها المختلفة في نظر الإسلام على العدل والإحسان قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ المائدة [2] وقال صلي ﷺ الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمي" (الحجاج 1990م: ج16 : 140).

وقد أولى الإمام علي- كرم الله وجهه التربية الاجتماعية عنايته واهتمامه، مؤكداً على التعاون بين كافة فئات المجتمع، إذ المجتمع في نظره مقسم إلى طبقات لكنها ليست كالطبقية التي كانت سائدة في الغرب والشرق قديماً، وحديثاً، حيث أن كل طبقة مستقلة عن الأخرى تمام الاستقلال، فالطبقية عند الإمام علي قائمة على التكامل والتعاون بين الناس جميعاً، والتفاضل بينهم لا

يرجع إلي اللون أو الجنس أو القبيلة، وإنما مرده إلى اختلاف الناس في قدراتهم واستعداداتهم الفطرية والمهنية وهو ما يعرف في التربية وعلم النفس بالفروق الفردية.

فقد كتب الإمام علي إلى عامله على مصر مالك الأشتر النخعي مبيناً له تركيبة المجتمع وحقوق كل طبقة فيه حسب بيان الشرع : " أعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غني لبعضها عن بعض: " فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها/الطبقة السفلي من ذوي الحاجة والمسكنة. وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه، أو سنة نبيه صلي الله عليه وسلم" (الرضي: 1987 ج 17: 48).

فهذا التقسيم استوعب كافة أفراد المجتمع بمختلف مهنهم ووظائفهم، بما ينم عن معرفة عميقة ونظرة ثاقبة في أحوال الناس وما تقوم عليه مصالحهم: فالجنود وظيفتهم حماية الدولة وحفظ الأمن، ووظيفة أهل الخراج توفير ما تحتاجه الدولة من قوت، ووظيفة القضاة الفصل في المنازعات بين الناس، والكتاب وظيفتهم القيام بأعمال الإدارة في الدولة، والتجار والصناع وظيفتهم توفير السلع المختلفة واستجلابها من أماكن إنتاجها وتصنيعها، وهذا التقسيم معروف الآن في كثير من المجتمعات في مختلف بقاع العالم.

وقد بين الإمام علي كرم الله وجهه لواليه على مصر الأشتر النخعي وظيفة كل طبقة، وحاجة كل منها للأخرى: "فالجنود بإذن الله حصون الرعية

وزين الولاة، وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من "الخراج الذي يقوون به علي جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكونون من وراء حاجتهم ، ثم لأقوام لهذين الصنفين، إلا بالصنف الثالث القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار، وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمون به أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلي من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل علي الوالي حق بقدر ما يصلحه" (الرضي: 1987 ج 17:48).

ويلاحظ من هذه الوصية سبق الإمام علي – كرم الله وجهه إلى ما يعرف الآن بالتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ورعاية الفئات الفقيرة علي وجه الخصوص.

ويرجع الإمام علي كرم الله وجهه اختلاف الناس في أشكالهم وألوانهم وطباعهم إلي خلق أبيهم آدم عليه السلام، الذي خلق الله جسده من قبضة من تراب، حيث أمر الله تعالي جبريل عليه السلام بإحضار قبضة من تراب الأرض بكل أنواعها، قال الإمام علي: "إنما فرق بينهم مبادئ طينهم ، وذلك أنهم كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها، وحزن تربة وسهلها، علي حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء*ناقص العقل.

حسن المظهر

وماد القامة، وقصير الهمة، وزاكي العمل، قبيح المنظر، وقريب المقعر، بعيد السير، ومعروف الضريبة، منكر الجبلة، وتائه القلب، متفرق اللب" (الرضي: د.ت ج1 : 18).

ففي هذا القول يؤكد الإمام على، على تفاوت الناس في الصفات المتقابلة كالجمال والقبح والطول والقصر، والذكاء والغباء. وقد جرت العادة أن تكون العلاقات الاجتماعية قوة وضعفاً بين الناس مبنية في الأساس على قربهم الجغرافي.

وإدراكاً لأهمية التربية الاجتماعية ومالها من أثر فاعل في استقرار ورفاهية المجتمع، وما لها من انعكاس عليه في كافة مظاهر حياته لم تخل أقوال الأمام علي وأفعاله من التأكيد والعمل على تماسك المجتمع والتحذير من كل ما من شأنه المساس من التأكيد والعمل علي تماسك المجتمع والتحذير من كل ما من شأنه المساس بذلك، قال الإمام محذراً من الغيبة مبيناً أنها من أعظم الذنوب عند الله تعالى: " إنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة، أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم، فكيف بالغائب الذي عاب أخاه أو عيره ببلواه، وكيف يذمه، وقد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه" (الرضي: 1987 ج 8 :251).

كما نهى الإمام علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه –عن التحدث بعيوب الناس، إذ على الإنسان أن يعلم أن لديه عيوباً كثيرة، لذلك عليه أن يكون شاكراً لنعم الله تعالى عليه، قال الشاعر:

لسانك لا تذكر به عورة إمري فكلك عورات وللناس ألسن

قال الإمام علي موضحاً هذا المعني: " يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية، فلعلك معذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على ما فاته مما ابتلى به غيره". (الرضي: 1987 ج 7 : 315).

وأفضل طريقة في نظر الإمام علي للبعد عن الغيبة وذكر عيوب الناس، في اشتغال الإنسان بعيوب نفسه، قال الإمام علي: " طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ". (الرضي: 71987 ج 7 : 315).

ومما يقوى العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع سيادة روح المحبة. فالمحبة في سبيل الله لها أثر بالغ في إعانة الإنسان على أن يكون عبداً لله" (أبو العينين 1987م: 231) لذلك أقر الإسلام مبدأ الصداقة القائمة على التقوى، قال تعالى: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾ الزخرف [67] وكان من أوائل الأعمال التي قام بها الرسول صلي الله عليه وسلم حين وصوله للمدينة قادماً من مكة، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فجمع كل صحابي إلي من يماثله، فالصداقة والأخوة من الأشياء الضرورية لكل إنسان، طالما أنه يعيش في مجتمع " فالإنسان يجد في حبه للأخرين وعونه لهم سعادة لا تدانيها سعادة، لأنه يشعر أنه سبب سعادتهم وتحقيق أحلامهم"، (زروق 1999: 62).

يرى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن مكانة الصديق تعادل مكانة النسب، أي أن العلاقة بين الأصدقاء تقابل في قربها وما يترتب عليها

كما لو كانت هناك علاقة مصاهرة بين المرء وصديقه ، قال الإمام علي: " الصاحب مناسب". (الرضي: 1987ج 16: 113). والإنسان العاجز في نظر الإمام علي هو من لا يعرف كيف يحافظ علي علاقته بمن صادقهم، قال الإمام علي : " أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم". (الرضي: 1987 ج 18: 112).

وللصداقة عند الإمام على أسس تقوم عليها هي:

1- الحفاظ على حقوق الصديق في كل الأحوال والأوقات قال الإمام علي : " لا يكون الصديق صديقاً، حتى يحفظ أخاه في غيبته وبعد وفاته". (العاملي 1985 م: 204).

2- مؤازرة الصديق في كل ما يحدث له، حتى لو أدى ذلك إلى التضحية بكل شيء قال الإمام علي:

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت شمله ليجمعك الغزالي1994م: 19ج2:267)

3- ملاطفة الصديق واللين معه، وبذل النصح له، وعدم العجلة في قطع الصداقة معه، وإن بدأ منه ما يدعو إلى ذلك، وأن تكون القطيعة برفق لأنه ربما تزول أسباب هذه القطيعة وحسن الظن بالصديق، قال الإمام علي: " أحمل أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده علي الدنو، وعند شدته على اللين، كأنك عدو له، وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن وعند جرمه علي العذر، حتى تضع ذلك في غير موضعه، وأن تفعله بغير أهله، ولا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك، وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة، وإن

أردت قطيعة أخيك، فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها، وإن بدا له ذلك يوماً أخيك، اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس بأخ من ما. ولا تضيعن حق أضعت حقوقه، ولا يكونن أخيك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان". (الرضي: 1987ج 16 :105).

وينهى الإمام علي – كرم الله وجهه عن صحبة من تجتمع فيه صفات الكذب، وخيانة الأمانة والجحود، كما ينهى عن مصاحبة الأحمق والبخيل والفاجر، فصفات المرء تقاس بصفات من صاحبه. قال الإمام لأن ضررهم أقرب من نفعهم علي: " لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال: من إذا حدثك كذبك وإذا ائتمنته، خانك، وإذا ائتمنك اتهمك، وإذا أنعمت عليه كفرك، وإن أنعم عليك منّ عليك". (العاملي 1985م: 205) وقال الإمام علي في وصيته لابنه الحسن: " إياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد بك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه". (السيوطي 1989م: 184) وقال الإمام على:–

فلا تصحب أخا الجهل فإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه

قياس النعل بالنعل إذا ما هو حاذاه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

(الغزالي 1994 م: ج4: 207). قال صلي الله عليه وسلم مشيراً إلى هذا المعنى: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". (الترمذي 1999م :ج4 : 316). والصداقة عند الإمام علي لا تنتهي بانتهاء الحياة بل تمتد إلى يوم القيامة قال

الإمام علي: " عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار في النار: فمالنا من شافعين ولا صديق حميم " وقال الإمام علي مبيناً ضرورة تواصل الإنسان مع الآخرين وتعامله معهم بكل ما هو ممكن ومتاح: (خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب"(الرضى د.ت ج4: 572).

خامساً : التربية الأخلاقية:-

اهتم الإسلام بالأخلاق الحميدة واعتبرها الأساس الذي تستند إليه كل معاملات الإنسان مع خالقه ومع نفسه ومع الآخرين " (مرسى دت:155).

وقد أكد الإمام علي كرم الله وجهه علي الالتزام بالأخلاق الحسنة، وتجنب الأخلاق السيئة، قال الإمام علي: لا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب "الرضى 1987م ج17: 332) وقال كذلك: " أكرم الحسب الخلق" (الرضى 1987م ج18: 316).

واوصي الإمام علي أهل بيته بالتحلي بفضائل الأخلاق عندما حضرته الوفاة فأوصاهم بتقوى الله ، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل والتثبت في الأمر، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش.

وأكد الإمام علي كرم الله وجهه أهمية الوازع الداخلي في اكتساب فضائل الأخلاق. قال الإمام علي: " عباد الله حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"(الرضى د.ت ج4: 511-512).

والأخلاق الفاضلة عند الإمام علي- كرم الله وجهه تكون متطابقة ظاهراً

وباطناً قال الإمام علي: " من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة" (الهندي 1989م ج3 :674- 675) ويشير الإمام إلى أن يكون التعصب لمكارم الأخلاق وليس لشيء آخر لأنها هي المنجية من عذاب يوم القيامة، ونهي الإمام علي الناس بالكوفة من الجلوس على الطرقات إلا بشروط وهي: غض الأبصار، ورد السلام، وإرشاد الضال" (الجاحظ د.ت ج 2 : 106).

سادساً: التربية السياسية:-

التربية السياسية هي " العملية التي يمارسها المجتمع أفراداً وأحزاباً، أو دولة سواء في إطار نظام سياسي مقبول، أم في إطار نظام سياسي مرفوض وذلك بهدف إكساب القيم والمبادئ والاتجاهات التي يؤمن بها المربي والمتصلة بالحياة السياسية قضاياها الرئيسية، كالهوية والانتماء والولاء والقيادة والمشاركة والحريات والواجبات، وذلك عن طريق مختلف الوسائل والطرق والمؤسسات التربوية، والتثقيفية المتاحة سعياً وراء الأهداف التي يرسمها الإطار الفكري الذي ينطلق منه المربي"(محمد 1994م : 126).

ومن هذا التعريف يمكن القول ، إن التربية السياسية كما بدت عند الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي ممارساته القولية والعملية التي هدفت إلى اكساب أفراد المجتمع المسلم مبادئ الدين الإسلامي من مصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

وهنا لا بد من ملاحظة أنه علي الرغم مما ساد فترة خلافة الإمام علي من عدم استقرار، وحروب متواصلة إلا أنه يظهر بجلاء تمتع الإمام علي

كرم الله وجهه بفكر تربوي سياسي عميق طبقه في خلافته وحمل الناس عليه، وقد قامت التربية السياسية عنده علي الشورى والعدل، ومراعاة حقوق المسلمين ونصح الولاة ومحاسبتهم علي إخفاقهم وشكر هم علي إنجازاتهم.

فقد أكد الإمام علي – كرم الله وجهه علي مبدأ الشورى في الحكم، حيث يرى أن الهلاك في الإنفراد بالرأي وانه لا بد من اخضاع كل ما يهم شأن الحكم والدولة للشورى لاتخاذ الرأي المناسب، قال الإمام علي : " لا ظهير كالمشاورة(الرضى دت ج 2 :319)، وقال كذلك: " من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها(الرضى دت ج2 :180).

وشاور الإمام علي أصحابه في الخروج إلى قتال أهل الشام، ودعا لذلك المهاجرين والأنصار (مزاحم دت ج2 : 103).

كما حث الإمام علي كرم الله وجهه علي العدل بين الناس كافة، دون اعتبار لجنس أو قبيلة أو لون، ومن ذلك " أن امرأتين عربية ومولاة لها أتتاه تسألانه، فأمر لكل واحدة منهما بكر من طعام وأربعين درهما، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت، وقالت العربية، يا أمير المؤمنين: " تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربيه وهي مولاة ؟ فقال لها علي رضي الله عنه: " إني نظرت في كتاب الله عز وجل، فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل علي ولد اسحق عليهما السلام " (الكاندهلوي 1983م ج 2 : 107) .

وكان الإمام علي بن أبي طالب–كرم الله وجهه يمر عل الأسواق متفقداً لأحوال رعيته وحاثاً التجار على الصدق والعدل في البيع، عن زازان عن علي رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده، وهو وال، يرشد

الضال، ويعين الضعيف ويمر بالبياع أو البقالة فيفتح عليه القرآن، ويقرأ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾القصص [83] ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة على سائر الناس"(الكاندهلوي 1983ج2: 564).

وأشار الإمام علي إلى أن هناك حقوقاً للرعية عل الوالي توفيرها ورعايتها، وحقوقاً للوالي على الرعية، فحق الرعية على الوالي بذل النصيحة وتوفير الغذاء والتعليم، وحق الوالي على الرعية النصح والسمع والطاعة له، قال الإمام علي: "إن عليكم حقاً ولكم على حق، فأما حقكم فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتأديبكم كي تعملوا، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح لي في الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم"(الكاندهلوي 1983م ج1 :448).

وقد حرص الإمام علي كرم الله وجهه علي الالتزام بإيفاء حقوق الرعية حتى وهو في طريقه للقتال، فلما أراد الإمام علي الخروج إلى صفين أمر مناديه بالصلاة، قال: " فتقدم فصلى ركعتين حتى إذا قضي الصلاة، أقبل علينا فقال: " يا أيها الناس ألا من كان مشيعاً أي مقيماً، فليتم الصلاة، فإنا قوم على سفر، ومن صحبنا فلا يصم المفروض والصلاة المفروضة ركعتان "(مزاحم دت ج2 :105).

فحق التعليم من الحقوق الأساسية التي يجب على الحاكم القيام بها ليتمكن أفراد المجتمع من المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية، ولشدة حرص الإمام علي، على هذا الحق، كتب إلى ولاته بتعليم الرعية، فمن كتاب له لأحد

ولاته في مكة: " أما بعد فأقم للناس الحج، وذكرهم بأيام الله، وأجلس لهم العصرين، فافت مستفتي وعلم الجاهل... ... ."(الرضى دت ج4 : 555).

وقد أولى الإمام علي كرم الله وجهه عملية اختيار الوالي ونصحه، عناية خاصة، ونظراً لأهميتها في تحقيق أهداف التربية السياسية، كان يختار لحكم الولايات من عرف بحسن السيرة والتصرف، ولم يقف الأمر عند حد الاختيار بل كان يمدهم بالتوجيهات الضرورية المعينة علي سياسة الرعية، ومن ذلك أمره بالرفق بالرعية، وحكمهم بما يتناسب مع ما يبدر منهم من تصرف، والمساواة بينهم من أبسط الأشياء إلى أعظمها، فمنه كتاب للإمام علي إلى أحد ولاته: " استعن بالله علي ما أهمك، وأخلط الشدة بضغث من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة، واخفض جناحك، وأبسط لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك (الرضي 1987م ج10: 125) .

وأوصى الإمام علي كرم الله وجهه واليه علي مصر الأشتر النخعي بالرحمة بالرعية والعفو والصفح عنهم، قال الإمام علي : " أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم"(الرضي دت ج3:487).

وأمر الإمام علي كرم الله وجهه ولاته بتفقد شئون الرعية من آن لآخر وألا يمتنعوا عن مقابلتهم، وفي ذلك تسهيل لمهمة الوالي في الحكم، وتيسير للرعية في معرفتهم لحقوقهم وواجباتهم، فعدم إطلاع الوالي على شئون

رعيته ربما يدخل الشكوك في نفوسهم، بما يؤدي إلي فقدان ثقتهم فيه، فقد كتب الإمام علي إلي بعض ولاته: " أما بعد فلا تطولن حجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر، ولا يعرف ما تواري عنه الناس به من الأمور.. "(الكاندهلوي 1983م ج2: 127).

واتخذ الإمام علي – كرم الله وجهه – كذلك سياسة رشيدة في جباية الخراج والصدقات، وموجهاً من يقوم بهذه المهمة بالرحمة بأصحاب الأموال وعدم تكليفهم فوق طاقتهم والصبر على قضاء حوائجهم، وعدم أخذ أكثر من الزكاة المفروضة، وأخذ الإذن قبل الدخول على البهائم، والرأفة بها، والسلام علي أهل الأموال فقد كتب الإمارعلي إلى أمراء الخراج " فارحموا ترحموا، ولا تعذبوا خلق الله ولا تكلفوهم فوفى طاقتهم، وأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم..."(مزاحم دت ج2:121).

وقال الإمام علي كرم الله وجهه موجهاً لأحد عماله على الصدقات: " انطلق على تقوى من الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من ماله، فإذا قدمت على الحي ، فأنزل بمائهم قبل أن تخالط أبياتهم، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ... وإن كان له إبل أو ماشية فلا تدخلها إلا بأذنه، فإن أكثرها

له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسؤن صاحبها."(الرضى 1987م ج 15:151).

وكان الإمام علي – كرم الله وجهه– يشيد ويشكر الولاة على ما اتبعوه من سياسة في حكم الرعية وفي هذا " دلالة واضحة على أن هؤلاء العمال تقيدوا بالسياسة التي وضعها لهم الخليفة الراشد، وحققوا متطلبات وظائفهم"(صديق 1412هـ– : 173) فمن إرشاداته خطاب الشكر الذي بعثه لواليه على البحرين حين عزله، وعين آخر بدلاً ونزعت يدك بلا ذم ولا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية، وأديت الأمانة فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم"(الرضى 1987م ج 16: 173).

وبنفس القدر كان الإمام علي – كرم الله وجهه – يلوم ولاته الذين تبدر منهم تصرفات لا تليق بهم كولاة أمي، ومن ذلك عتابه لواليه على البصرة، عثمان بن حنيف حين لبي الدعوة الموجهة له من أحد أعيان البصرة لحضور وليمة فكتب إليه قائلا: " بلغني أن رجلاً من أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وينقل إليك الجفان..."(يعقوب 1960 ج 2 : 177).

وكذلك تهديده بمحاسبة واليه مقصلة بن هبيرة، والذي قسم غنائم المسلمين في أهله، والشعراء والكذابين، فكتب إليه قائلاً: " فقد بلغني عنك أمراً أكبرت أن أصدقه، أنك تقسم في المسلمين في قومك، ومن اعتراك من المسألة والأحزاب، وأهل الكذب والشعراء، فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا فتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً "(الرضى 1987م ج 16: 164).

ومن هذا يتبين أن الإمام علي – كرم الله وجهة كان يستخدم مع ولاته ما يعرف اليوم بالتفتيش الإداري والذي يكون بغرض الوقوف على سير العمل وفق الإجراءات واللوائح المنظمة له لمعالجة أي خلل ينتج عن تطبيقها وذلك بغرض رفع كفاءة العمل.

وكان الإمام علي كرم الله وجهه يطالب عماله برفع حساباتهم إليه ليتأكد من أوجه صرف أموال الدولة، ومن ذلك كتابة لأحد ولاته، حينما بلغه أنه قام بتجاوزات مالية، طالباً منه بيان أوجه الصرف المالي، ومذكراً إياه بحساب الله تعالى له في الآخرة " فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك وأخربت أمانتك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إلى حسابك، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس" (الرضي 1987م ج16 :164).

كما كان يأمر برد أموال المسلمين ممن قام بأخذها، وإلا قام بمعاقبته بأقصى أنواع العقوبات حتى ولو كان من آخذها أحد أبنائه، فقد كتب الإمام علي إلى أحد طالباً منه ردها وإلا حكم عليه ولاته حين ثبت أنه أخذ من أموال المسلمين بغير حق، بالقتل " فاتق الله وأردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل، ثم أمكنني الله منك لأغدرن إلى فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار والله لو أن الحسن والحسين فعلا الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفراً منى بإرادة، حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما""(الرضي 987l ج16: 164).

هنا يلاحظ أنه رغم الظروف التي ألمت بخلافة الإمام علي كرم الله وجهه. وما صاحبها من توترات دائمة، إلا أنه كان على علم بأدق تفاصيل شئون ولاته ورعيته مطبقاً بذلك في نفسه ما كان ينادي به من أقوال فقد أثر عنه في واجبات خليفة المسلمين قوله: " يجب على الوالي أن يتعهد أموره، ويتفقد أعوانه، حتي لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن، واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل"(النويري دت ج6:19).

ومما يدل على اهتمام الإمام علي بأحوال ولاته وإرساله للعيون ليأتوه بأخبارهم استخدامه لكلمة (بلغني) بكثرة في كتاباته لهؤلاء الولاة.

نخلص إلى أن الإمام علي – كرم الله وجهه – أشار إلي كثير من الآراء التربوية التي تبنتها التربية العلمانية فيما بعد مثل إلزامية التعليم واستمراريته ومراعاة الفروق الفردية في التربية والتعليم الذاتي .

كما أكد علي ضرورة اهتمام الإنسان بكل ما يؤدي به إلي تبني السلوك حد الصالح الذي ينال به رضا الله تعالي.

كذلك أكد الإمام علي – كرم الله وجهه – على تربية الشخصية المسلمة تربية الله شاملة ومتوازنة ومتكاملة على هدى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

المراجع:

1) القرآن الكريم .
2) أبو العينين، علي خليل مصطفى، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط2 (القاهرة: دار الفكر العربي e198i) .
3) الترمذي، محمد بن عيسى سنن الترمذي، تحقيق مصطفي الذهبي (القاهرة: دار الحديث هـ1419– 1999م).
4) الجاحظ، عمر بن بحر البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط4 (القاهرة : مكتبة الخانجي . د.ت) .
5) الجوزية، ابن القيم الفروسية، تحقيق أبو عبيدة مشهور (حائل دار الأندلس 1414هـ –1994م) .
6) الحجاج، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، شرح النووي، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية، l4llهـ –1994م) .
7) الرضي، الشريف، نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار الجيل،1407هـ – 1987م).
8) الرضي، الشريف، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل (بيروت: دار الأندلس د . ت) .
9) زروق، عبد الله حسن، مجلة تفكر العدد الأول، يناير 1999م، السودان: جامعة الجزيرة، معهد إسلام المعرفة.
10) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ط (مصر: مطبعة دار السعادة، 1371هـ – 1989م).
11) صديق، خوجلي أحمد، الرقابة الإدارية في الدولة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، مكة المكرمة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى 1412هـ .

12) العاملي، محمد بن حسين، المخلاة ، تحقيق محمد خليل الباشا، ط1 (بيروت: عالم الكتب1405هـ 1985م) .
13) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق سيد إبراهيم ، ط1 (القاهرة : دار الحديث 1414هـ – 1994م) .
14) الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة (دمشق: دار القلم 3O3اهـ –1983م) .
15) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط (القاهرة المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر د ت).
16) الهندي، المتقي، كنز العمال (بيروت: مؤسسة الرسالة 1409هـ– 1989م).
17) محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي الإسلامي ط1 (جامعة الأمارات العربية المتحدة ، 4O4اهـ –1984م).
18) محمد، عبد القوى عبد الغني، الجوانب التربوية في حياة الخلفاء الراشدين (القاهرة : جامعة الأزهر 1994? - —å4l4l) .
19) مرسى، محمد منير، التربية الإسلامية (القاهرة: عالم الكتب ، د. ت).
20) مزاحم، نصر بن، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: دار أحياء الكتب الدينية، د.ت).
21) يالجن، مقداد، جوانب التربية الاسلامية الاساسية، ط1 (الرياض: جامعة الامام سعود 1406هـ – 1986م).
22) يعقوب، أحمد بن، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر 1375هـ – 1960م).